تل النمل

أخطر اكتشاف اثاري في تسعينيات القرن الماضي

برهان شاكر

شبه الجزيرة هذه عبر سلسلة جبال مكحول، والطريق وعر وضيق كطريق النمل. أما من الشمال والجنوب والشرق فالنهر يطوق شبه الجزيرة التي تضم هذا التل الصغير ومقبرته الممتدة في أرض منبسطة.

تل النمل وتل الزعلان

في قيظ آب عام (1997) بدأنا التنقيب في تل النمل، وكانت بعثتنا تقوم بالعمل من الوجهة الإدارية والتنظيمية على طريقة المقاولة. كانت دائرتنا قد وصلت الى إفلاس أخلاقي وعلمي لا مثيل له، فالنقود تصرف، أما النتائج فلا أحد يدقق فيها سوى أنهم سوف يحصلون عليها من جهدنا وتعبنا ونحن نعلم أنهم غير أمناء عليها. كانت انجازاتنا تصب في فتة تعمل لنفسها، ومستعدة لتزوير التاريخ، واستخدام شهاداتنا لمصلحة غير الحقيقة.

لكننا نحن الحفارين والمشرفين على الحفر في هذا المكان البعيد للنعزل حصلنا على كل حال على سعادة عظيمة من عزلتنا هذه. إن بطل رواية تل الزعلان الهارب إلى العمل يشبهنا حقاً. وإذا كان تل الزعلان وهماً متخيلاً فإن تل النمل كان بالنسبة الينا حقيقياً وواقعياً، والنتائج التي توصلنا إليها من حفرياتنا فيه أكدت نتائج ذات أفق تاريخي مهم جداً.

نتائج فتنقيب

كان الوقع خربا حين باشرنا العمل فيه بسبب تجاوزات بعض المتنفذين في القرية، وكشفت التنقيبات في الطبقة الثانية من الموقع عن بناء دائري فريد في عمارته، يصل بملحقاته الشمالية نحو (45) متراً ويتألف من مركز دائري يشبه شكل المشعل، تيمناً باله الضوء والنار في العراق القديم. وتتعاقب الجدران الواحد تلو الآخر حول المركز تاركة بينها ممرات وجيوباً ومحاريب. أهمها ممر يقع بين الجدارين الثالث والرابع للبناء، ويؤدي إليه من جهة الشرق مدخل معقود باللبن والطين.

في هذا الممر كانت تقام الطقوس الدينية لإله الضوء والنار السومري كيبل (Gi-Bil).

ولقد وجدنا في المحاريب العشرة الموجودة في الممر، وفي الممر نفسه، عظام حيوانات كانت تقدم كنذور، فضلاً عن أكداس من الرماد ناتجة عن اشتعال النار لإله النار في الطقوس الدينية.

مر هذا البناء بثلاثة أدوار، وكان تنظيمه الأخير ستة جدران دائرية وفي وسطها المركز الشبيه بالمشعل.

وتأتي أهمية هذا الموقع من أن نتائج العمل فيه غيرت الجغرافية التاريخية لانتشار الحضارة السومرية في عهدها المبكر، وأصبح الحد الجغرافي الشمالي لحضارة عصر فجر السلالات السومري الأول عند تخوم آشور. كما أثبتت النتائج أول مرة تعاصر ما تعارف الآثاريون على تسميته بفخار نينوى (O) الملون والمحزز والمعروف في منطقة الجزيرة والموصل مع فخار عصر فجر السلالات الأول وخاصة في الفخار القرمزي. وقبل هذا الاكتشاف كان الباحثون الأثاريون يختلفون في تحديد قدم أو حداثة أو تعاصر هذين النوعين من الفخار.

ازاء ذلك بات هذا الاكتشاف عنصر ربط لظواهر الحضارة في العراق القديم منذ نضوجها في العصور السومرية الأولى في شمال ووسط وجنوب العراق. فمثلما عاش السومريون في جنوب ووسط العراق وبنوا حضارة مزدهرة فيها كذلك كان شأنهم في الشمال بل وفي بلدان مجاورة مثل منطقة الخابور في سوريا ومناطق الفاضول في جنوب تركيا.

هذا وقد تم اكتشاف أكثر من ألف قطعة أثرية مختلفة في البناء الدائري والمقبرة التابعة له، وأغلب هذه اللقى هي من الفخاريات التي كان بعضها ملوناً باللون الأحمر والأسود أو البرتقالي.. واكتشفت كذلك قلائد تتألف من أحجار مختلفة كالعقيق الأحمر والحجر الأبيض الشفاف، واستخرجت أغلب هذه اللقى من المقبرة التي بلغ عدد قبورها (230) قبراً.

تل النمل الطبقة الثانية

متى ترن أجراس الهواتف؟

مازالت البدالات تحت الأنقاض .. والقائمة منها تعاني...

تحقيق: عباس لطيف

يزيد صمت الهواتف من معاناة الناس ويحرمهم من وسيلة التواصل والاتصال والضرورة القصوى التي يمثلها الهاتف في حوادث الطوارئ والابلاغ عن الوقائع في كل مكان.

والحال ان بعض الدوائر الخدمية يقوم عملها على الاتصال الهاتفي كدوائر الأسعاف والمستشفيات ومراكز الحريق، إلا انها بلا اداة اتصال ويمكن القول أن اية مدينة في العالم تفتقد إلى الخدمات الأساسية التي لا مجال للاستغناء عنها مثل الكهرباء والخدمات البلدية واتصالات الهاتف فأنها مدينة تعاني عوقا في بنيتها وبطال العوق الأفراد والجماعات والمؤسسات.

لقد خرجت بغداد من أوزار الحرب الى أوزار الواقع الحياتي والمعيشي الذي لا يقل ضراوة وقسوة فيما يتعلق بواقع البدالات فأنها مازالت تغرق تحت الانقاض ومظاهر الخراب وقد تحولت كل بناية او مركز لاتصالات الهاتف الى اكوام من الحطام وبقايا التدمير، ولا تبدو عمليات أو مشاريع اعمارها سريعة وبمستوى الحاجة الواقعية المتصاعدة، وإذ يمكن مشاهدة بعض اعمال التنظيف ورفع النفايات ومخلفات القصف في بعض مواقع البدالات لكنها تجري بسرعة السلحفاة.

يقول السيد عبد الكريم حسين مدير بدالة 14تموز

ليس حال البدالات التي لم يصبها القصف بالحال الأفضل فنحن نعاني مشكلة انقطاع التيار الكهربائي وتأثير ه على عمل البدالة. وعلى الرغم من وجود المولدات (الديزل) لكنها تحتاج الى الوقود الذي لا تقل لزمة وجوده وتوفيره عن بقية الاحتياجات.

* وهل هناك معوقات أخرى؟

الوضع العام ينعكس سلبياً على اداء كل المؤسسات الانتاجية أو الخدمية في المجتمع، فما زال الفراغ الأمني وعدم استقرار الاوضاع يؤثر على الدوام والتواجد المنتظم، ونحن نسعى الى تعزيز الحراسات خوفاً من السراق وضعاف النفوس الذين لا يمنعهم اي وازع ضميري او انساني او وطني للحفاظ على الممتلكات العامة، ولولا الحرس وتشديد الرقابة لنجحت محاولات سرقة وتخريب البدالة.

* ماالذي تحتاجه البدالات عدا الأمور التي تحدثت عنها؟ أهم مانحتاج إليه بعد توفر الأمن والكهرباء هو إعادة تنظيم لجمل جوانب العمل فيها وزيادة الملاك الهندسي والعمالي فيها واعدة النظر ببنايات البدالات التي تبدو قديمة وغير صالحة الى جانب قلة المساحة مقارنة بزيادة وتوسع الخطوط ووتائر العمل.

أما المهندسة شيرين طاهر فتوجز حديثها وحجم المعاناة في البدالة بسبب:

النقص الحاصل في المواد والأجهزة والمستلزمات التي يتطلبها عمل البدالة، وإذا ما تعرض اي جزء أو جهاز للعطل فأن عملية إعادته للعمل تتطلب وقتاً ليس بالقليل في ظل هذه الظروف المتردية، مما يؤثر على أداء الخطوط وتوقف الحرارة، لتبدأ بعدها موجات المراجعة والمعاناة من الحاح بعض المواطنين من اجل اصلاح العطل بالسرعة القصوى دون معرفة كاملة لمعاناة الاصلاح وتأمين عمل الاجهزة بصورة مستمرة وصحيحة.

وفي بدالة الفداء الواقعة في مدينة الثورة كان لنا هذا اللقاء مع السيد جمعة كظم مدير البدالة الذي أعاد علينا بعض الهموم والمعاناة من انقطاع التيار الكهربائي وعدم توفر مادة الماء المقطر وصعوبة اصلاح الأجهزة الكهربائية التي تعتمد البدالة في عملها عليها وأردف قائلاً:

- الى جانب هذه المعاناة في تشغيل البدالة والحفاظ على استمرار الخطوط فأننا نعاني من بعض المواطنين وكثرة المراجعين مما يثقل كاهلنا بطلبات غير اصولية وغير قانونية ولاسيما في هذا الطرف الذي توقفت فيه الكثير من الإجراءات والأيعازات الادارية.. فعمليات النقل وتغيير العنوان والملكية مازال العمل بها غير مكتمل.

* هل يعني ذلك عدم تعاون من قبل المواطنين؟

لا اريد تعميم هذه الصورة لأننا لمسنا حالات إيجابية دلت على حرص ووعي الكثير من المواطنين ممن تطوعوا لحراسة البدالة والمحافظة عليها من أعمال السلب والنهب. لكن هناك الجانب السلبي لبعض ضعاف النفوس ممن يعبثون بشبكات الخطوط أو يتسببون بقطع الأسلاك مما يؤثر على عمل واداء البدالة. سواء اكان القطع متعمداً أم نتيجة مرور المركبات.

* هل هناك معاناة بسبب قدم أو عطل الأجهزة؟

- البدالات في أغلبها قديمة ومثقلة بالخطوط وأغلبها يحتاج إلى تحديث أو نصب بدالات جديدة تواكب التطور وتوسيع الخطوط وهذا بدوره يتطلب فتح دورات للعاملين وزيادة الملاك والنظر في زيادة رواتب العاملين ومخصصاتهم بما يتناسب وصعوبة العمل.

رزق الله في مخلفات الجيش

صورة فريدة من نوعها، ربما لن تغادر الذاكرة سريعاً، لرتل من المدرعات العراقية وقد علاها السخام وبدت بحالة مزرية، مصطفة على جانبي شارع طويل في منطقة شعبية شمالي بغداد.

إنها كتيبة مدرعات انتقلت إلى شارعنا حديثاً، قال أحد المراهقين ساخراً وهو يشير إلى هذه المدرعات المحطمة.. من دون أن يرد في ذهنه أنه يشير إلى صورة مكثفة الدلالة لما آل إليه جيش ناهز عمره الثمانين عاماً وخاض ما خاض من حروب ومعارك ربما لم تكن من مهامه الحقيقية أصلاً.

لكن القدر لا يتوقف عند صورة آليات الجيش العراقي المحطمة والمدمرة، وإنما يدفع باتجاه صورة أشد قسوة.. فهذه المدرعات والآليات العسكرية لم تجتمع في هذا المكان اعتباطاً، أو من أجل إنشاء مقبرة رمزية للجيش العراقي، وإنما لسبب آخر.

حروب المصاهر

محرقة هائلة للمدرعات وطائرات الهليكوبتر

ياسين الوردي

فبعد توقف العمليات العسكرية الأساسية لقوات التحالف وسقوط النظام البعثي، واستشراء أعمال السلب والنهب والحرق والفوضى في طول البلاد وعرضها، كان للبعض هدف محدد.. هو جمع الآليات العسكرية المحروقة والمحطمة من أرجاء العاصمة وضواحيها، وبالذات تلك التي تحتوي أبدانها على معدن الألنيوم، ومن ثم العمل على تقطيعها بشعلات الأوكسجين أو المناشير الكهربائية (الكوسرات) إلى أجزاء صغيرة.. ثم صهرها في مصاهر (كور)، وصبها بعد ذلك في قوالب لتكون جاهزة للبيع.

وفعلاً... شهدت كيف قطع رجال مثابرون في ظهيرة حامية بدن مدرعة روسية الصنع إلى أجزاء بواسطة الكوسرات. بينما صوت الكورة وراء سياج من الطين والبلوك يهدر عالياً منصهراً كتلاً دخانية تنذر بالمصير المحتوم الذي ستؤول إليه هذه المدرعة. ولم يكن لتعاطفي الغريب مع هذه الآليات العجوز لينفعها بأي حال من الأحوال. ولكني أسمح الآن لنفسي بلحظة حداد شخصي أستذكر فيها أو أتخيل كم من أرض قطعت هذه المدرعات. كم أرعبت وكم أخافت، وكم من معركة استطاعت أن تنفذ منها ببدنها وتخرج بسلام، وبماذا فكرت لحظة أخبروها أنها ستدخل (برغم شيخوختها) في حرب جديدة. بل هل كان يتخيل المهندسون الروس ورجال المصانع التي صنعتها.. بأنها ستعود في لحظة ما إلى مجرد مادة أولية خام؟!

رزق السكراب

كور الصهر ليست وليدة الوضع الجديد، ولكنها انتعشت بسبب هذا (الوضع) على نحو عجيب.

أما بداياتها فتعود إلى تلك الفترة التي أعقبت حرب الخليج الثانية والعقوبات الاقتصادية، حين بدا العراق يجتر نفسه، وبدا العراقيون بإعادة تصنيع كل شيء، من البلاستيك والنايلون والألياف والزجاج حتى أصبحت كلمة (معاد) تطلق على سبيل السخرية أو الانتقاص من قيمة الشيء، لتختفي تدريجياً من الصدارة تلك الأشياء التي توصف عادة بأنها أصلية، ويتسيد المعاد على جميع صور الحياة العراقية، ابتداءً من خطب (السيد الرئيس) في مناسباته الكثيرة حتى أباريق التواليت البلاستيكية و(نعال أبو الضغط).

وإذ لم تتجه هذه (المعادات) من المواد في رحلة دائرية من المستهلك إلى الزبالة ثم إعادة التصنيع ثم المستهلك، فإن مواد أخرى تتخذ صيغة الرحلة الخطية، فبعد أن تتحول إلى مواد خام تنطلق إلى خارج العراق بمعية مهربين ما انفكوا طوال السنوات الماضية يخلصون البلد من السكراب.. ومن مواده الأولية أيضاً! ولعل أنفس مادتين شغلتا معامل الدول المجاورة هما النحاس والفافون اللذان كانا يأتيانهم من العراق على شكل قوالب نظامية زهيدة الثمن.

وكان (الكور جية) العراقيون يعتمدون على السكراب في عملهم، ويعانون من مطاردة (الحزبيين) لهم، ليس لوجه الله أو حماية للبيئة وصحة المواطنين.. وإنما من أجل ابتزازهم وتقاسم عرق جبينهم.

الآن، وبعد (تقاعد) البعثيين الإجباري، وترك المدرعات العراقية ذات الألنيوم والفافون الثمين في العراء من دون ولي ولا نصير، عادت السنة الدخان شديدة السواد والحاوية من ضمن مكوناتها على غبار الخارصين السام، تتطاول بزهو وسعادة من عشرات الكور القديمة والمستحدثة في مناطق كسرة وعطش وسبع قصور والكمالية وحي النصر وحي طارق والحسينية وفي مناطق منزوية من الكفاح، ولا أعتقد أن للأمر مثيلاً في محافظات العراق، وإنما هو سمة خاصة من ضمن سمات أخرى حديثة العهد ببغداد العاصمة.

(دعهم.. إنهم يخلصون البلد من السكراب والأنقاض) قال لي أحد الأشخاص بحماسة وطنية غريبة.. فتساءلت (وماذا عن الدخان.. خصوصاً أن هذه الكور كائنة في الأحياء السكنية ودخانها الثقل من أن يحمله الهواء بعيداً؟) فأجابني مستغرباً (هل أصبحت قضية البلد محصورة بهؤلاء؟.. يا أخي البلد كله خربان.. صدام والحروب لم تبق شيئاً في البلد سالماً.. دع هؤلاء الماكين يشوفون رزقهم)!!

تنظيف المحافظات

المدرعات وأبدان طائرات الهليكوبتر العراقية نفدت من ضواحي بغداد، لذا يتجه الآن أصحاب الكور ومساعدوهم إلى خارج العاصمة من أجل تنظيف المحافظات من صور الحرب الأخيرة، بانتشالهم هذه الآليات من البساتين والقرى حيث أخفاها النظام السابق، وحيث أحرقتها طائرات التحالف أيضاً.

ولأن الموضوع حساس، فقد نصحني الكثيرون بعدم الاقتراب من أصحاب الكور لأنهم سيواجهون أسئلتي بعدوانية، فهم لم ينسوا بعد تاريخ (صراعهم المرير) مع البعثيين. وهم يريدون أن يستثمروا أيضاً فضاء الحرية الذي حل في العراق مؤخراً. ولكن على وفق طريقتهم الخاصة.

برغم هذه التحذيرات الشديدة، لم أستطع مقاومة فضولي، وتمكنت بطرق ملتوية من فتح حوار مع (كورجي) مثابر قام مؤخراً بعدة جولات (تفقدية) في عدد من المحافظات وبالذات داخل معسكرات الجيش المتروكة.

روى لي أبو شيماء (هكذا أقترح أن نسميه) رحلته الأخيرة إلى محافظة تكريت مع فريق عمله، حيث تجولوا في معسكر حماد شهاب. وطالبني بأن أثبت احتجاجه على ما واجهه من منغصات.. حيث وجدوا أن احد رعاة الجمال من أهل بيجي قد وضع يده على معهد الدروع المدمر داخل معسكر حماد شهاب. وبعد مفاوضات شاقة، اشتروا منه أربع مدرعات بسعر (750) ألف دينار لكل واحدة ونقلوها بشاحنتي مارسيدس طويلتين. لكن سيطرة مكونة من ثلاثة ضباط عراقيين ومفوضين أوقفتهم على الطريق الخارج من تكريت باتجاه بيجي وأخذوا منهم (350) ألف دينار من أجل المرور، وبدا أن هذا الأمر ينطبق على كل السكراب والمسروقات والمنهوبات الخارجة من المدينة.. ويحدد (السعر) حسب قيمة وكمية (المقتنيات).

أكمل لي أبو شيماء حديثه.. فقال أن دورية شرطة عراقية (حديثة!!) تحمل الرقم (40) على بابها الأزرق أوقفتهم قرب منظمة النفط العربية (أوابك) وقالوا لهم بالفم المليان: (يا الله ..ورقوا!) وكانت خسائر هذه (التقفيصة) (50) ألف دينار فقرت فمي مستغرباً، بل مصدوماً. ولكن ليس تعاطفاً مع ابي شيماء، وإنما لسبب يعرفه القراء جيداً ولا حاجة لذكره.

دخان أزلي

بعد جولة في منطقة شعبية على أطراف بغداد، أحصيت نحو (16) كورة متنوعة بين البيوت تبدو السنتها الدخانية السود ظاهرة للعيان. وخيل إليّ للحظة، بسبب غرابة المشهد، أن الحرب لم تنته بعد، وأن السنة النيران والدخان التي انطفأت في المخازن والوزارات والبنايات الحكومية عقب موجة (الفرهود) ما زالت متأججة هنا. فكرت وأنا أغادر المنطقة بحال ذلك الطفل أو الشيخ المريض الذي عليه أن ينتظر حتى إحراق وصهر آخر مدرعة في الجيش العراقي، ويستنشق كل الدخان الصادر عن ذلك قبل أن يسحب شهيقاً نقياً ويرى سماء زرقاء نقية صافية.. كم يطول هذا الأمر؟.. لا أستطيع تخيل ذلك.